بحوث قسم الفلسفة

الجمال والجلال عند الصوفية

الباحثة/ رحاب عبدالحميد درويش

الملخص

ان الجمال الطبيعي هو أحد مظاهر الجمال الالهي الذي يحيط بنا من كل مكان، وبذلك يعتبر موضوع الجمال من أهم الموضوعات التي اهتم بها الفلاسفة والصوفية لما له من دور في بناء الحياة الانسانية، فإن الجمال جاء في لسان العرب بأنه مصدر الجميل والفعل جَمُل أي حسن، وفي الحديث الشريف: "ان الله جميل يحب الجمال" أي حسن كامل الأوصاف، فالجميل هو مصدر كل جمال وبهاء وحسن في الخَلق والخُلق، كما يرى البعض أن الجمال لا يقبل التعريف لأنه معنى وجداني يختلف باختلاف الأشخاص وتجربتهم الذاتية.

لقد اتفق معظم الفلاسفة والصوفية على أن هناك نوعان من الجمال (جمال الظاهر وجمال الباطن)، فجمال الظاهر متغير ونسبي وزائل، أما جمال الباطن فهو جمال الروح الثابت والباقي الذي لا يتغير، وهو ذلك الجمال الذي اهتم به الصوفية، فالصوفية يميزون بين الجمال والكمال والجلال الإلهي وبين جمال الباطن المتمثل في نور القلب والبصيرة، وجمال الظاهر المتمثل في جمال وكمال الأشياء وتناسقها وجمالياتها.

لقد اهتم فلاسفة الصوفية بتناول قضية جماليات النور في الكون، كما أكدوا على أن الكون كله بجميع أنواره ومخلوقاته لله تعالى، بحيث يمكن للعبد أن ينظر لله تعالى من خلال جماليات الكون، وتظهر حقيقة الجمال الكوني من خلال تأمل حقائقة ومكنونات أسراره، بحيث تدل جميع هذه الالمخلوقات والمكنونات في جميع حركاتها ومكنوناتها على عظمة الخالق وقدرته.
كما يظهر الجمال الإلهي من خلال محبة الله تعالى، فالحب عند الصوفية يقوم على أساس

العلاقة المتبادلة بين الخالق في جماله وجلاله وعظمته، والعبد الذي ترك الدنيا والسوى للوصول إلى المعرفة بالله تعالى، كما تتجلى وتظهر المحبة في شدة العشق والوجد، وذلك يعتبر دليلاً على أن الحب الذي يطلبه العبد ليس مادياً، بل يسمو على المادة ليصل إلى الله تعالى، ويظهر أيضاً الجمال الإلهي من خلال القرب والأنس بالله تعالى والطمأنينة والمغفرة والستر والإحسان وجمال الحضرة الإلهية.

Summary

Natural beauty is one of the manifestations of divine beauty that surrounds us from everywhere, and thus the issue of beauty is considered one of the most important topics that philosophers and mystics discussed and talked about, because of its role in building human life. And in the honorable hadith: "God is beautiful and loves beauty." It means perfect in all descriptions. Beautiful is the source of all beauty, splendor and goodness in creating and character.

Most of the philosophers and mystics have agreed that there are two types of beauty (the outer beauty and the inner beauty), the outer beauty is variable, prorated, and impermanent, as for the inner beauty, it is the constant and unchanging beauty of the soul, and it is that beauty that the Sufis distinguish between beauty, Sufis are concerned with.

perfection and god greatness, And between the inner beauty represented in the light of the heart and insight, and the outer beauty represented in the beauty, perfection and harmony of things.

Sufi philosophers have been interested in discussing the issue of the aesthetics of light in the universe, and they also emphasized that the entire universe, with all its lights and creatures, is for God, so that the follower can look at God through the aesthetics of the universe.

The goodness beauty appears through god's love, the Sufism love is based on the mutual relationship between the Creator in his beauty and greatness, and the follower who left the world to gain knowledge of God. Also, love shows through the intensity of love and affection, the divine beauty also shows through closeness and familiarity with God, tranquility, forgiveness, benevolence, and the beauty of the Divine Presence.

المقدمة

تحدث العديد من الفلاسفة والصوفية عن معاني الجمال والجلال وارتباطهما وما بينهما من تضاد على الظاهر، فالجلال مظهر الغلبة والقدرة، والجمال مظهر اللطف والرحمة، فالإنسان العاشق يرى دائماً في معشوقه الجمال والجلال، وبما أن الجلال والجمال مترابطان، فنجد أنه إذا تجلى الجمال وظهر ملك القلب وقهر العاشق وخلق في نفسه هيبة ورهبة ووجلاً، فالإنسان العاشق دائماً بين خوف ورجاء يعتوران في قلبه فيزداد اندفاعاً نحو طلب رضا المعشوق وتحقيق كل الأماني والرغبات التي يطلبها المعشوق.[١]

إن الشعور أو الإحساس بالجمال والاستمتاع به يشغل جانباً هاماً من جوانب الحياة الإنسانية، فالجمال الطبيعي هو أحد مظاهر الجمال الإلهي الذي يحيط بنا من كل مكان في السماء والأرض وكل شيء لأنه تعالى نور السموات والأرض، وذلك في قوله تعالى: " وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ"[٢]، وفي قوله تعالى أيضاً: " إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا"[٣]، وقوله تعالى: "وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ".[٤]

لقد اهتم الصوفية اهتماماً كبيراً بالجمال كقيمة متحققة في مظاهر خلقية عديدة مثل الطهارة وصفاء القلب وتزكية النفس، وفي هذا المعنى يروي ابن عطاء الله السكندري عن شيخه أبي الحسن الشاذلي أنه قال: "قيل لي: يا علي طهر ثيابك من الدنيا تحظ بمدد الله في كل نفس، فقلت: وما ثيابي؟، فقيل لي: إن الله كساك حلة المعرفة، ثم حلة التوحيد، ثم حلة المحبة ثم حلة الايمان ثم حلة الإسلام، فمن عرف الله صغر لديه كل شيء، ومن أحب الله هان عليه كل شيء، ومن وحد الله لم يشرك به شيئاً، ومن آمن بالله أمن من كل شيء، ومن أسلم لله قلما يعصيه، وإن عصاه اعتذر إليه، وإذا اعتذر إليه قبل عذره، قال ففهمت من ذلك قوله تعالى: فثيابك فطهر".[٥]

ولذلك كان موضوع الجمال من أهم الموضوعات التي اهتم بها الفلاسفة وكذلك الصوفية لما له من دور في بناء الحياة الإنسانية، كما اهتموا بمعانيه، فقد جاء معنى الجمال في لسان العرب أن الجمال مصدر الجميل والفعل جَمُلَ أي حسن[٦]، وقال ابن كثير في معنى الجمال: الجمال يقع على الصور والمعاني، ففي الحديث الشريف "إن الله جميل يحب الجمال" أي حسن الأفعال كامل الأوصاف، وجاء معنى الجمال في القاموس المحيط بأن الحسن هو الجمال، والحسن هو نقيض القبح وهو مصدر الفعل حسنت الشيء أي زينته، وذلك في الآية الكريمة: " حْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ"[٧]، فالجميل هو مصدر كل جمال وبهاء وحسن في الخُلقِ والخَلقِ.

ولأن الجمال في كل شيء هو المحبب للنفس، بما فيه من ظواهر جميلة في العالم الخارجي[٨]، أي هناك جمال ظاهر متغير ونسبي وزائل، وهناك جمال باطني وهو جمال الروح الثابت والباقي وهو الجمال الذى اهتم به الصوفية.

ولأن الكثير من أحكامنا الجمالية تعتمد في كثير من الأحيان على الانطباعات الشخصية الذاتية للفرد المتغير بطبيعته، حيث إن لكل فرد خلفيته الثقافية والعلمية والدينية وله تجاربه الذاتية التي تختلف من شخص لآخر، ولذا يرى البعض أن الجمال لا يقبل التعريف لأنه معنى وجداني يختلف باختلاف الأفراد في تقديرهم له بحيث يعتبر تجربة ذاتية.[٩]

وللجمال عند الصوفية مفهوم خاص يتحدد وينقسم بحسب خصائصه وأنواعه، فهم يميزون بين الجمال والكمال والجلال الإلهي، وبين جمال الباطن المتمثل في نور القلب والبصيرة لأن القلب هو مرآة المعارف ومحل المحبة والشوق والإلهام والكشف عندهم، وبين جمال الظاهر المتمثل في جمال وكمال الأشياء وتناسقها وجمالياتها، ويمكن ملاحظة أن الجمال والفن عند الصوفية وفي الإسلام عامة يتسم بالمركزية والوحدة حيث أن الله لدى الصوفية هو مركز الكون ويمثل الجمال المطلق والجلال المطلق والكمال المطلق، فيتدرج الجمال عند الصوفية من جمال الجزئيات في الكون إلى

الجمال المطلق المتمثل في الله تعالى، وهناك من يرى أن الجمال المطلق أولاً ومنه يرى جمال الجزئيات.

يرى الصوفية أنه من الضروري تأمل مظاهر الجمال الكوني لأن ذلك من دلائل تمام الطاعة لله تعالى واعتبار ذلك من الأحوال المصاحبة للمريد في كافة أحواله ومقاماته وعباداته فهو من الضرورات التي تولد أحوال الأنس والبسط ويجب معه الرهبة والقبض حتى لا يزل المريد ويؤدى به إلى سوء الأدب مع الله عز وجل، أما الجلال عندهم فهو الذى يولد القبض ويجب معه الأنس والبسط حتى لا نقنط من رحمة الله، بالإضافة إلى ذلك فإن الجمال عند الصوفية ذو نفع مادى ومعنوي وذو طابع عملي بحت فهو دستور الحياة لديهم، ولذلك فإن الجمال وتذوقه عند الصوفية له علاقة وصلة وثيقة بالمقامات والأحوال، فبدايتها عند الصوفية هو التخلي عن كل ما هو سيء والتحلي بكل ما هو جميل وذلك هو المعنى الحقيقي للتصوف، ومن الصوفية من قسم أسماء الله تعالى إلى أسماء وصفات جمال وهو ما اتصل بالرحمة واللطف والأنس كصفات الربوبية والحمد، وأسماء وصفات جلال وهو ما اتصل بالرهبة والقبض والقهر كصفات الإلهية، والعز وأسماء الصفات كصفات الجلال والكمال.

وعندما يتحدث الصوفية عن أهمية إدراك الجمال كقيمة معرفية يقولون من ذاق عرف، لأن كل إحساس بالجمال لابد أن يسبقه إدراك وتجربة ذوقية خاصة، والإدراك والمعرفة تختلف من إنسان لآخر، وليس كل من يدرك أو يعرف الجمال يحس ويشعر به، ولهذا ترتبط النظرة العامة للجمال بتربية المريد وتزكية النفس عند الصوفية الذين اهتموا ببناء النفس الكاملة والمتوازنة التي هدفها الوصول للجمال المطلق المصدر لكل جمال وهو الحق سبحانه وتعالى.

أولا: مفهوم الجمال ومظاهره عند فلاسفة الصوفية

لقد اهتم العديد من فلاسفة الصوفية بالعلاقة الجدلية بين الجمال والحب على اعتبار أن الجمال سبب للحب ونتيجة له أيضاً، أما عدو الجمال عند الصوفية فيكون متمثلا في الحجب وفي تناهى وضوحه أو الألفة وشدة خفاؤه في نفسه وغموضه، وهنا تظهر العديد من الجوانب في المسألة

الجمالية وعلاقتها بالروح والنفس حيث اهتم العديد من الفلاسفة والصوفية ومنهم النفري وابن عطاء الله السكندري وابن عربي والتوحيدي والفارابي وابن سينا وذو النون المصري والغزالي وابن الفارض وابن قيم الجوزية وغيرهم بالقيم الجمالية وما يحققه نور القلب والبصيرة من أمان واطمئنان، مع ملاحظة أنهم لم يهتموا فقط بالجمال الطبيعي أو الكوني بل كان اهتمامهم بنور القلب ونور اليقين بوصفه الجمال الإلهي الذي يظهر من خلال المحبة والشوق وجماليات الذات والأفعال والصفات بحيث يتحقق الجمال الإلهي في تجليات الذات من خلال الأقوال والأفعال والصفات، ومن أجل ذلك اهتم الصوفية بالترقي في جماليات الروح والنفس وجماليات الحكمة المتمثلة في العلم والمعرفة واثبات أن جمال النفس وصفاء القلب يكون في التحقق والترقي في المقامات والأحوال حتى يصل المريد إلى مرحلة القرب والوصول إلى المعرفة بالله تعالى ومحبته.

١ – مفهوم الجمال ومظاهره عند الفارابي ت ٣٣٩ هـ

اتفق أبو نصر الفارابي وغيره من الصوفية في أن الجمال هو البهاء والزينة في كل موجود، وأن الكمال من أسباب الجمال وأهم عناصره، كما ميز بين الجمال الإلهي والجمال الطبيعي، فالجمال الإلهي هو الله تعالى الواحد المطلق بذاته وصفاته وأسمائه الذى هو أساس ومصدر الجمال في الكون والموجودات وهو الجمال الكلي الثابت الأبدي الذي لا يزول أو يتغير، وهو الاسم الجامع لصفات الكمال والجلال والبهاء، لأن الله تعالى جميل يحب الجمال، أما الجمال الطبيعي فهو جمال الزينة والبهاء للموجودات فهي تتحقق عن طريق العرض. [١٠]

ويعتبر الفارابي من أكثر فلاسفة الإسلام اهتماماً بالجمال وما يحتويه من قيم تساهم في تهذيب النفوس وصفاء القلوب وتحقيق السعادة الإنسانية، وهو ما ظهر في العديد من مؤلفاته مثل آراء أهل المدينة الفاضلة وتحصيل سبل السعادة وغيرها، وهذا ما دفع ببعض الباحثين لدراسة فلسفة الجمال والجمال الإلهي والطبيعي عند الفارابي وكذلك التجربة الجمالية ودورها الاجتماعي في فكره. [١١]

وقد أظهرت هذه الدراسات أن مفهوم الجمال عند الفارابي أوسع من مفهوم الجلال من حيث المدلول، لأن الجمال الإلهي هو مصدر كل جمال، فإذا كان الجلال مرتبط بالذات والصفات والأفعال الإلهية فإن الجمال يشترك بين جميع الموجودات ترتيباً تراتبياً بحسب نظرية الفيض أو الصدور، وهذا يعنى أن الجمال الظاهر للعيان مشترك بين التمييز بين الادراك الحسى والادراك الداخلي، وأن الجمال التام للموجود الأول وهو الله سبحانه وتعالى وهو الجمال الأكمل والأفضل في الشكل والمضمون، والذى يمكن ادراكه في الجمال الكوني من خلال سمات التكامل والارتباط والوحدة والانسجام وفي مختلف أركان الجمال وعلاقته بمظاهر الكمال والجلال والإكرام، وأن الكمال هو الجوهر في الجلال، ولا وجود للجلال البتة في غياب الكمال أو في كل ما هو ناقص، وذلك لأن الاكتمال حقيقة واجبة في جوهر الجليل بحيث تتحقق شروطه من خلال العظمة والمجد وكل صفات الجلال.

وهذا الاعتقاد هو ما دفع الفارابي إلى القول بأن الجمال الإلهي يعلو فوق كل جلال فهو الكمال المطلق على كل كمال وهو كمال بالجوهر لا يشوبه نقص او ضآلة، على عكس سواه الذي يكتمل جماله بالعرض، ولذا فإن الجمال الحقيقي هو الجلال الذى لا يمكن الوصول إليه أو استيعابه أو التشبه به. [١٢]

٢– مفهوم الجمال ومظاهره عند التوحيدي ت ٤٢٢ هـ

ذهب أبو حيان التوحيدي[١٣] في كتابه (الهوامل والشوامل) إلى أن الله تعالى هو الأصل الخالق للجمال في الكون والترقي في الوصول إلى مصدر الجمال والحسن، فهو يرى أن الأصل الأول للجمال والحسن والبهاء هو الله تعالى، وأن مستويات الجمال هي (الحسن ثم الجمال ثم البهاء)، وأن الجمال هو درجة متوسطة بين الحسن والبهاء[١٤]، ويقول عفيف البهنسي في كتابه (الفكر الجمالي عند التوحيدي): "يرى التوحيدي أن الجمال الإلهي مصدر الجمال الكلي وهو الجمال

المطلق الذي تنعكس منه جمالات الكائنات والأشياء".[١٥]

ويرى التوحيدي أن الجمال الإلهي المطلق ليس مجرد صفة قد توجد في شيء من الأشياء لأن الله تعالى لا يشبهه شيء ولا يتصوره شيء، فهو تعالي ليس كمثله شيء، وذلك هو ما اتفق عليه معظم الصوفية والفلاسفة مثل ابن عطاء الله السكندري والغزالي والفارابي والنفري وغيرهم حين تحدثوا في مبدأ التنزيه والتجريد، كما يرى التوحيدي أيضاً أن قمة اللذة في التمتع بالجمال الإلهي في حالة العشق، فجعل الجمال الإلهي في أعلى مستويات العشق الإلهي، وقد قسم الجمال إلى نوعين وهما (الجمال المثالي الثابت و الجمال النسبي أو المادي)، فالجمال المثالي هو الذى يصل إليه العقل المجرد المستنير بالعلة الأولى وليس بالحواس القاصرة المضللة، ولذلك فهو جمال مطلق ثابت غير متغير ولا نسبي، أما الجمال المادي فهو الذي يصل إليه بالحواس وهو نسبي متغير، وذهب التوحيدي أيضاً إلى أن الخير الأمثل والجمال الأكمل هو إحداث الجمال المثالي للوصول إلى المطلق وهو الله تعالى الذى هو مصدر كل أنواع الجمال.[١٦]

٣- مفهوم الجمال ومظاهره عند الغزالي ت ٥٠٥ هـ

يقسم الغزالي كغيره من الفلاسفة والصوفية الجمال إلى جمال ظاهر وجمال باطن، والجمال الظاهر هو الجمال المحسوس المادي الملموس الذي يدرك بالحواس، والجمال الباطن هو الجمال الداخلي الذي يدرك بالبصيرة كجمال التقوى والقلب المدرك العميق المستوعب لجميع الأمور، وهذا ما فعله الغزالي في كتابه احياء علوم الدين حين قال: "إن الجمال ينقسم إلى جمال الصورة الظاهرة المدركة بعين الرأس، وجمال الصورة الباطنة المدركة بقلب العين ونور البصيرة".[١٧]، وبذلك نجد أن الغزالي قد سبق بالفعل وتفوق على العديد من فلاسفة الجمال الذين ذهبوا وقالوا بنفس التقسيم للجمال إلى (جمال داخلي باطني وجمال ظاهر خارجي) مثل كانط وشوبنهاور وكروتشه وغيرهم ممن قالوا بإمكان ادراك الصور الجمالية عن طريق الحدس أو البصيرة مع الفرق بأن الحدس لدى هؤلاء الفلاسفة عقلي أما الغزالي فالحدس لديه قلبي.[١٨]

لقد ربط الغزالي الجمال بالأخلاق ورأى أن الجمال الداخلي الباطني الغير مدرك بالحواس هو الجمال المحبوب لذاته لأنه فطرة موجودة بداخل كل نفس سوية متزنة، فهي مدركة في حد ذاتها، وهي من المدركات العالية التي يمكن أن يتصف بها الأنبياء والصحابة والأئمة والصالحين، حتى وإن لم نرى صورهم أو نعرف شخوصهم إنما نعرف أخبارهم عبر الزمان، فإن حب هؤلاء ليس بسبب

أشكالهم الجميلة فقط، فإذا كان ذلك سيعتبر مجرد جمال ظاهر خارجي فقط، ولكنه في الحقيقة جمال داخلي باطني مثل حب الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو حب من لم يرى من قبل، هو المحبوب لذاته الغير مدرك بالحواس.

ويؤكد الغزالي على أن الجمال الباطني هو الجمال الدائم والخالد الباقي الذي لا يتغير بتغير الزمان ولا يتبدل، أما جمال الشكل فهو ذائل ونسبي، وفي ذلك يقول الغزالي في كتابه احياء علوم الدين: " وليت شعري من يحب (الشافعي) مثلاً، فلم يحبه ولم يرى صورته قط، ولو شاهده ربنا لم يستحسن صورته، فاستحسانه الذي حمله على افراط الحب هو لصورته الباطنة لا لصورته الظاهرة، فإن صورته الظاهرة قد انقلبت تراباً مع التراب، وإنما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والإحاطة بمدارك الدين، وهذه أمور جميلة لا يدرك جمالها إلا بنور البصيرة، أما الحواس فقصيرة عنها، وكذلك من أحب أبا بكر رضي الله عنه أو علي رضي الله عنه، لا يحب عظمه ولحمه وجلده وشكله، وإنما يحب أخلاقه وسيرته الحسنة، وهي الصفات المحمودة التي هي مصادر السيرة الجميلة، فكان الحب باقياً ببقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور"[١٩]

ومعنى ذلك أن الغزالي قد تناول الجمال من حيث الشكل والمضمون وقسمه إلى أنواع منها جمال الموجودات وجمال الخلقة، وجمال الأخلاق المتمثل في الصفات المحمودة مثل العلم والحكمة والعفة وكظم الغيظ وإرادة الخير للناس والصبر والصفح والتواضع، كما يحب الله تعالى من عبده جمال اللسان أي أن يتحدث بكلام جميل مع الآخرين حتى لا يؤذي أي شخص بحديثه وأن يجمل الشخص قلبه ويخليه من الضغائن ومن كل سوء ويملأ قلبه بالإخلاص والمحبة والتوكل والعناية والطاعة، كما يحب الله تعالى عبده بأن يهتم بمظهره من خلال إظهار نعمة الله عليه في ملبسه والعناية به، وذلك يعتبر من شكر الله تعالى على نعمه ولمحبته سبحانه للجمال الذي أنزله على عباده[٢٠]، والدليل على ذلك قوله تعالى: "وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ"[٢١].

ولقد ربط الغزالي كل أنواع الجمال سواء الظاهر أو الباطن بالجمال الإلهي، لأن كل أنواع الجمالات سواء عقليه أو حسية أو باطنية أو خلقية، فهي جميعاً من آثار قدرة الله تعالى وإبداعه. وهذا المعنى يؤكده الغزالى في كتاب الإحياء في باب كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا فيقول: "أن المحبة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم هي الغاية القصوى وهى من أعلى المقامات والذروة العليا من الدرجات"، وفي حب الجمال والحسن يقول: "إن كل جمال محبوب عند مدرك

الجمال"، وذلك لعين الجمال لأن إدراك الجمال فيه عين اللذة والاستمتاع، واللذة المحبوبة لذاتها لا لغيرها.[٢٢]

إن الإمام الغزالي كصوفي يرى أن جمال الروح الباطنية أسمى أنواع الجماليات لأنه يتمثل في الروح البشرية النقية التقية القريبة إلى خالقها، إنها الروح التي تمكن صاحبها من تذوق ورؤية جمال صنع الله تعالى في الكون وفي جميع المخلوقات، مؤكدا على أن الجمال الباطني يتمثل في جمال الذات الإنسانية التي تتذوق وتتلذذ بجمال الصنع الإلهي، وهذا يدل على أن الصوفية بقلوبهم العامرة بالنور والجمال الإلهي هم أقرب الأرواح البشرية لتذوق الجمال الإلهي لتهذيب نفوسهم وطهارتها وتصفيتها من الشوائب والرذائل الموجودة في هذا العالم الخارجي، وذلك عن طريق الذكر والزهد والخلوة وسائر المجاهدات، وفي هذا المعنى يقول الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال: "إن الصوفية أرباب الأحوال لا أصحاب الأقوال، وعلومهم يتحصل عليها بالذوق والسلوك بتقطع علاقة القلب عن الدنيا والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى، ولا يتم ذلك إلا بالإعراض على الجاه والمال والهرب من الشواغل والعلائق الدنيوية"[٢٣]، إن الأرواح الصوفية هي أقرب الأرواح إلى الله تعالى، وتعتبر نظرتها الجمالية تمثلها أدق وأكمل الآراء الجمالية، كما أكد الغزالي على أن الجمال هو محبوب بالطبع أي محبوب لذاته بالفطرة، وفيه يشترك الجميع في حب الجمال، كما قسم الإدراك الجمالي إلى ثلاث مستويات وهي: (مستوى الإدراك والوجدان والنزوع ومستوى الانتقال من المحسوس إلى المعقول ومستوى الإدراك الكلي للجمال) حتى يصل المريد المتذوق للجمال إلى حب الجمال كقيمة عليا، وإدراك جمال الله تعالى هو أعلى مراتب الإدراك والكشف الجمالي.[٢٤]

٤– مفهوم الجمال ومظاهره عند ابن عطاء الله السكندري ت ٧٠٩ هـ

ذهب ابن عطاء الله السكندري إلى أن الجمال الحقيقي هو جمال الروح المتحقق في حال الرضا والاطمئنان واليقين، وذلك لا يتحقق إلا بالبعد عن السوى والذكر والقناعة، وذلك دليل على الارتباط بين القيم الروحية والقيم الجمالية وصعوبة الفصل بينهما، كما يرى أن الرضا هو ملجأ كل محتاج إلى الله تعالى وسبيل السعادة لكل مشتاق والسلامة لكل مبتلي، وذلك في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " ذاق طعم الإيمان من رضا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً"، وقال أيضاً " اعبد الله بالرضا فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير "[٢٥].

ويتمثل الجمال الالهي في جمال الصبر والشكر في قول ابن عطاء الله السكندري في التنوير في اسقاط التدبير: " وإنما يعينهم على حمل أقدارهم ورود الأنوار، وإن شئت قلت وإنما يصبرهم على أفعاله ظهوره عليهم بوجود جماله، وإن شئت قلت وإنما يصبرهم على القضا، علمهم بأن الصبر يورث الرضا، وإن شئت قلت وإنما صبرهم على الأقدار، كشف الحجب والأستار، وإن شئت قلت: إنما صبرهم على أقداره، علمهم بما أودع فيها من لطفه وأبراره[٢٦].

ويؤكد ابن عطاء الله السكندري على أن الجمال المعنوي هو المتحقق، في جمال الرضا والقنوع كما يتحقق في رضا الله تعالى وإنعامه على أوليائه بالنور والعفو والمغفرة، وهذه المعاني جاءت في شرح ابن عطاء لقول الله تعالى: "رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ"[٢٧]، وفي الحديث النبوي: "ذاق طعم الايمان من رضا بالله رباً"، لأنه لما رضى بالله رباً استسلم له وإنقاد لحكمه وألقى قياده إليه خارجاً عن تدبيره واختياره إلى حسن تدبير الله تعالى واختياره، فوجد لذاذة العيش وراحة التفويض، ولما رضى بالله رباً كان له الرضا من الله، وإذا كان له الرضا من الله تعالى أوجده الله حلاوة ذلك ليعلم ما من به عليه وليعلم احسان الله إليه، فلا يكون الرضا بالله إلا مع الفهم، ولا يكون الفهم إلا مع النور، ولا يكون النور إلا مع الدنو، ولا يكون الدنو إلا مع العناية، حتى يعفو قلبه من الأمراض والأسقام، لأن إذا زالت أسقام القلوب سوف يدرك العبد الأشياء على ما هي عليه، فيدرك حلاوة الإيمان والطاعة ومرارة القطيعة والمخالفة.[٢٨]

٥– مفهوم الجمال ومظاهره عند ابن القيم الجوزية ت ٧٥١ هـ

التزم ابن القيم الجوزية في تقسيمه للجمال الإلهي بحسب التقسيم الذى قدمه رجال الفقه وعلم الكلام في باب الاعتقاد، فنجده يقسم الجمال إلى (جمال الذات وجمال الصفات وجمال الأفعال وجمال الأسماء)، مؤكدا على أن أسماء الله تعالى كلها حسنى وصفاته صفات كمال وأفعاله كلها حكمة وعدل ورحمة، كما يقسم ابن الجوزية أيضاً الجمال إلى جمال الظاهر وجمال الباطن، ففي جمال الظاهر المحسوس المادي نجد أن الله تعالى يحب أن يتجمل له العبد بالجمال الظاهر من الثياب النظيفة الجميلة، والجمال الباطن يتمثل في الجمالي الداخلى الذي يظهر عن طريق الشكر على النعم ومحبة الله تعالى، ويظهر أيضاً في السلوكيات والأخلاقيات الحسنة من تقوى ورضا، فيقول ابن الجوزية في كتابه الفوائد: "لمحبة الله للجمال أنزل على عباده لباساً وزينة تجمل ظواهرهم، وتقوى تجمل بواطنهم"[٢٩]

ويرى ابن القيم أن الجمال المحبوب والمحمود عند الله تعالى هو كمال التقوى والأخلاق والأعمال، وأن الجمال المكروه هو المذموم عند الله تعالى وهو الجمال الظاهر الذي يخفي وراءه قبح باطني سواء في الأقوال أوفي الأفعال من نفاق وكبر، وذلك في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"[٣٠]، قالوا: ومعلوم أنه لم ينفي نظر الإدراك إنما نفي نظر المحبة، كما قام ابن القيم بتفسير الحديث: "إن الله جميل يحب الجمال"[٣١]، حيث يرى أن هذا الحديث أوله معرفة وآخره سلوك، يعرف الله تعالى بالجمال الذي لا يماثله فيه شيء، ويعبد بالجمال الذي يحبه من الأقوال والأعمال والأخلاق، أي أن الله تعالى يحب من عبده أن يجمل لسانه بالصدق، وقلبه بالإخلاص والمحبة والتوكل والتقوى والرضا، وجمال بدنه بإظهار النعمة عليه في لباسه وتطهيره له من الأنجاس، فهو بذلك قد جمع بين المعرفة والسلوك. [٣٢]

كما يؤكد ابن القيم على أن الله تعالى هو مصدر كل جمال في الكون أو النفس، وهو الجمال الكلي الواحد أو هو الجمال المحبوب بالطبع وبالفطرة، فالجمال هو جمال الله الواحد ذو الجلال والجمال والإكرام، وهو الواحد المطلق بذاته وصفاته وأسمائه، وهو مصدر الجمال في الكون والموجودات، وهو الجمال الكلي الواحد الذي ليس كمثله شيء.

وبذلك نجد أن معظم فلاسفة الإسلام قد تناولوا فكرة الجمال الطبيعي والإلهي من خلال تأمل درجات الترتيب والنظام والتناسق والكمال في المخلوقات، فهناك آيات عديدة تدل على الجمال والكمال منها قوله تعالى: " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ"[٣٣]

وفي قوله تعالى: "قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ"[٣٤]، وفي قوله تعالى: "وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ"[٣٥]، وذلك دليل على الجمال والكمال والعظمة والقدرة في خلق الله تعالى من الكون والمخلوقات والأنفس، ومعنى ذلك أن هناك العديد من القيم الجمالية منها الجمال الذي لا يكون إلا في الكمال، والجلال الذي لا يكون إلا في العظمة والقدرة، والقدرة التي لا تكون إلا في حسن الصنعة وكمالها حتى تتولد الرهبة من هذه العظمة والقدرة.

٦-الجمال عند ابن عربي ت ٦٣٨ هـ

معروف أن ابن عربى من أشهر فلاسفة الصوفية الذين جمعوا بين الفلسفة والتصوف ، وفى نفس الوقت كان أكثرهم اهتماما بالجمال الإلهى والمحبة الإلهية ، ولذا اهتم برسم الطريق إلى الإحساس بالجمال على أساس التمييز بين نوعين من الجمال :الجمال العرضي وهو الجمال المتبدل المتغير وهو صفة من صفات العالم والجمال المطلق وهو جمال الله.المتمثل بالكمال الإنساني المتجلي في هذا العالم بصفته الإنسانية والتي هي "صورة الرحمان"فابن عربي لا ينكر هذه الحقيقة وهو يصرح بها في العديد من الأبيات الشعرية على اعتبارها صورة الكمال المثالية التي هي أصل الوجود وسره الخفي الذي يبحث عنه الناس في طريقهم الطويل من المعرفة وطلب الحقيقة. انه التناغم ألعشقي بين الله والإنسان .فالله في رأي ابن عربي تجلى في خليفته في الأرض ادم وهي الصورة الإنسانية الأولى وتمثل الإبداع الأول .هذا الإبداع كان الشكل الظاهري للإله وحقيقته التي تكمن في باطنه هي الله .حيث صورة ادم الظاهري صورة النقص الذي بدا ظاهرا متكثرا فاسدا تفسده الأراجيف الإبليسية والشيطانية أما صورة ادم الباطنية فهي صورة الخلافة الإلهية في الأرض هذه الصورة هي التي ابتدعها وسمّاها خليفته أي إثبات وجوده وحلوله في هذا العالم فالعالم جميل لأنه صورة الله المرئية المحسوسة والله جميل وكامل لأن صورة العالم الكاملة التي لاتنقص و لا تتجزأ.

وعلى أساس التقسيم الظاهرى والباطنى للجمال حرص ابن عربي على أن يقسم الجمال إلى قسمين بحسب أقسام طبائع البشر وميولهم فقال :"انقسم أهل الله في حب الجمال إلى قسمين:فمنا من نظر إلى جمال الكمال وهو جمال الحكمة فأحب الجمال في كل شيء لأن كل شيء محكم وهو صنعته حكيم فمن أحب العالم بهذا النظر فقد أحبه بحب الله وما أحب إلا جمال الله .فجمال العالم جمال الله وصورة جماله دقيقة أعني جمال الأشياء وهو الجمال المطلق الساري.ومنا من لا ينظر إلى الجمال العرضي وذلك أن الصورتين في العالم وهما مثلان شخصان ممن يحبهما الطبع وهما جاريتان أو غلامان .فقد اشتركا في حقيقة الإنسانية فهما مثلان وكمال

الصورة التي هي أصول من كمال الأعضاء والجوارح وسلامة المجموع والآحاد من العاهات والآفات ويتصف أحدهما بالجمال فيحبه كل من رآه فهذا هو الجمال العرضي الذي تعرفه العامة لا جمال الحكمة فمنا من لم يبلغ مرتبته من نظر إلى جمال الكمال وهو جمال الحكمة وما عنده علم الجمال إلا هذا الجمال المقيد الموقوف على الغرض فتخيل هذا الرأي الذي لم يصل إلى فهمه أكثر من هذا الجمال المقيد به، فأحبه لجماله ولا حرج عليه في ذلك فإنه أتى بأمر مشروع له على قدر وسعه ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها .وكذا نفوس العامة يتعلق حبها بجارية أو غلام .أي شيء كان فهم أهل الجمال العرضي الذي يتعلق به الحب العرضي وهو ظل زائل وغرض مائل وجدار مائل، ما هو الجمال المطلق الساري في العالم وفي هذا الجمال العرضي يفضل آحاد العالم بعضه بعضا بين جميل و أجمل وراعي الحق ذلك على ما أخبر به نبيه صلى الله تعالى عليه و سلم في قول الصحابي له : إني أحب أن يكون نعلي حسنا وثوبي حسنا فقال له صلى الله عليه وسلم إن الله جميل يحب الجمال.[٣٦]

ثانيا: جماليات الوجود عند الصوفية

لقد اهتم فلاسفة الصوفية بتناول قضية جماليات النور في الكون واكدوا أن الكون كله قد تنور بنور الله تعالى، كما تنور بتسبيح الله وذكره وجميع مخلوقاته، وأن الكون كله والشمس والقمر قد تنورت بجميع الأنوار، وقد أشار النفري في موقف الحقيقة والذي جاء في الأعمال الكاملة للنفري بعنوان: موقف من أنت ومن أنا إلى هذا المعنى حين قال: أوقفني وقال لي: "من أنت ومن أنا فرأيت الشمس والقمر وجميع الأنوار".[٣٧]

كما أشار النفري في مواقفه إلى هذا المعنى الذى يظهر حقيقة النور في الكون وكيف ينقبض وينبسط ويتخفى ويظهر بقدرة الله تعالى وأمره في الكون كله، فقال في موقف نور: "أوقفني في نور وقال لي: لا أقبضه ولا أبسطه، ولا أطويه ولا أنشره، ولا أخفيه ولا أظهره، وقال: يا نور انقبض وانبسط وانطوى وانتشر واخف واظهر، فانقبض وانبسط وانطوى وانتشر وظهر"، ويشرح

التلمساني هذا فيقول: "اعلم أنه لما أوقفه في شهود نور لا يغاير ذاته تعالى، ولذلك قال لا أقبضه ولا أبسطه لأنه غير منفصل فلا يكون مفعولا، ولأن المفعول أبدا غير الفاعل فلا يكون هذا النور غيره تعالى لم يجز أن يكون مفعولا لتغاير ما بين الفاعل والمفعول، وأما قوله: يا نور انقبض إلى آخره، فهذا القول ليس قولا باللفظ، لكن ذات النور تقتضى هذه الحركات التي عينها، وذلك أن النور هو حقيقة جوهر الوجود، وهو شيء ما في الخارج لأن الحق تعالى في الخارج وهو النور والنور من أسمائه[٣٨]"، فالله تعالى ما لم يمد عقل عبده بنور البصيرة ويرشده إلى الطريق فإنه لا يرى ولا يعلم.

ولم يقف الصوفية عند حدود المعرفة بالنور وحقيقته أو المعرفة بالجمال ومفهومه ومظاهره، بل كان لميدان الجمال والجلال عند الصوفية مكانة خاصة لا يوجد ما يماثلها عند الفلاسفة أو علماء البيئة والجمال، فهو عند الصوفية وسيلة من أهم وسائل الترقي للجمال المطلق المتمثل في الله تعالى، ومثال ذلك ما ذكره ابن عطاء الله السكندري في حكمه وقوله: "الأكوان ثابتة بإثباته، وممحوة بأحدية ذاته، الأكوان مخلوقة لله وممكنة"، ولذا فهي لا تتصف بالوجود الحقيقي بالقياس إلى أحدية الله الذي هو الوجود الواجب الحقيقي.[٣٩]

أكد العديد من الصوفية على أن الكون كله بجميع أنواره ومخلوقاته لله تعالي ويمكن للعبد أن ينظر لله تعالى من خلال جماليات الكون، وتظهر حقيقة الجمال الكوني من خلال تأمل حقائقه ومكوناته وأسراره التي يمكن ملاحظتها من خلال الوحدة والانسجام، لأن للكون أسرار وحقائق تتجلى في حركته وسكونه ونظامه ودقة صنعته وسنة الاتفاق والاختلاف، فالكون هو مجرى حقائق الوحدة والاختلاف والكثرة والتغير والنور والظلمة وكلها دلائل على انوار الحق وجماله.

إن جميع المخلوقات والممكنات في جميع حركاتها ومكوناتها دالة على عظمة الخالق وقدرته التي يجب أن يتعرف عليها عباد الله من خلال جمال هذه المصنوعات في حركتها وما يصدر عنها من أنوار.

وعن حقيقة الجمال وتجليات النور الإلهي فلقد اتفق الصوفية في القول: أن الجمال الإلهي المتجلي

في جميع أسمائه وصفاته لا ينفصل بحال عن الجمال الطبيعي، فالله تعالى موجود في كل شيء أي في كل الوجود المحيط بنا، وأنه تعالى يتجلى بأنواره لأهل الجنان والتقوى، ولهذا أطلق النفري على مفردات هذا الجمال مصطلح التنعيم كلفظ جامع لسائر الصفات الجمالية ولهذا قال في المواقف: أوقفني وهو بديع السماوات والأرض وهو نورها وسر جمالها المتجلي في كافة مظاهر النعيم والتنعيم سواء في الدنيا أو في الآخرة ،ومن مظاهره ما يظهر في جماليات الجود والكرم وكافة أوصاف الود والحب والرضا وغيرها، وهذا ما أثبته النفري حين عقد المقارنة بين أوصاف أهل النار وعذابهم وما ينعم به أهل الجنة حين يرون كافة أوصاف النعيم والجمال، مما يدل على أن جمال الجنة شامل لكافة الأحوال والجمال ، كما أكد فلاسفة الصوفية على أن النور الإلهي الذى يملأ الكون بجماله وأنواره يتجلى في جميع الحقائق والخلائق، كما يتجلى النور الإلهي في معارف القلب على اعتبار أن المعرفة هي النور الذي يضئ قلوب العارفين ويتجلى بها جمال الحق تعالى.

ثالثا: الجمال الإلهي عند الصوفية

لقد اتجه الصوفية منذ بداية القرن الثاني الهجري نحو الاهتمام بالتعبير عن أحوالهم وطرق الوصول إلى مقامات الطريق الصوفي وفي مقدمتها محبة الله تعالى، وكان حبهم لله تعالى حباً لذاته حيث عبروا عنه بفنائهم عن أنفسهم وبقائهم بالله وحده، وجعلوا هذا الحب غاية حياتهم وملتقى آمالهم، وعندئذ حرصوا على الاستجابة لتعاليم الله بباعث من حبهم له ورغبتهم في كسب مرضاته، وذلك إيماناً منهم بأن العالم ليس إلا مجلى لجمال الله تعالى ومحبته، وتحول الله سبحانه وتعالى عند الصوفية من معبود يخافه الصوفي ويرهبه إلى محبوب يأنس بقربه ويتطلع إلى مرضاته ويسعد بحبه.[٤٠]

ومن أجل محبة الله قطع الصوفية مختلف العلائق الدنيوية، كما قام الصوفية بقطع الصلة بين أخلاقية الأفعال الإنسانية وجزاءاتها ونتائجها، حيث اتجهوا إلى حب الله تعالى لذاته، والعمل بتعاليمه حباً لله وكسباً لمرضاته، لا طمعاً في نعيمه وجنته ولا خوفاً من جحيمه وناره، فارتفعت

الجزاءات باعثاً على فعل الخير أو تجنب الشر، وارتدت أخلاقية الأفعال إلى البواعث والنيات دون النتائج والآثار.[٤١]

ولذلك أقام الصوفية منهجهم في سلوك الطريق على قاعدة المحبة الخالصة لله تعالى، وأنتهجوا منهج الجدل الصاعد والهابط، الصاعد يعنى المحبة من الصوفي نحو الله تعالى، والهابط يعنى المحبة من الذات الإلهية نحو الصوفي، وهكذا كانت المحبة من أساسيات الفكر الصوفي وأعلى مقاماتهم، لأن الصوفي إذا أحب الله تعالى فإنه لا يحبه لغرض بنفسه، فهو قد هجر الدنيا بما فيها وابتعد عن السوى كله وأصبحت العلاقة بين الإنسان والله تعالى علاقة متبادلة أي أن يحب العبد الله تعالى كما يحب الله تعالى عبده. [٤٢]

ومن أوائل الصوفية الذين تحدثوا عن حب الله تعالى بدون علة وكتبوا أشعاراً في المحبة الإلهية منهم رابعة العدوية ت ١٨٥ هـ، وهي قد وصلت إلى مرحلة متقدمة في حب الله تعالى وذلك هو سبب تلقيبها بشهيدة العشق الإلهي، فإن رابعة العدوية قد نذرت حياتها لحب الله تعالى بعد أن هجرت الدنيا وزهدت فيها واعتزلت حياة الناس[٤٣]، ومن أشهر أقوالها:

" أحبك حبين حب الهوى... وحبا لأنك أهل لذاكَ "

" فأما الذي هو حب الهوى... فشغلي بذكرك عمن سواكَ "

وهكذا قام الحب عند الصوفية على أساس العلاقة المتبادلة بين الخالق في جماله وجلاله وعظمته، والعبد الذى ترك الدنيا والسوى وشهواتها وابتعد عن كل اللذات من أجل الوصول إلى الله تعالى، واعتبر الصوفية الحب الإلهي في مقدمة العديد من المقامات والأحوال كالمعرفة والشهود، حيث تتجلى المحبة في شدة العشق والوجد والشطح ليدلل على أن الحب الذي يطلبه ليس مادياً بل يسمو على المادة ليصل إلى الله تعالى.[٤٤]

إن الله تعالى قد خلق العباد لعبادته وتوحيده ومحبته والقرب منه والوصول إلى المعرفة به بالمجاهدة والترقي في مقامات الحب، فإن قلب المحب وسع تجليات الله تعالى وأنواره، فهو مجلي التجلي وموطن الحب للحق تبارك وتعالى حيث أضفي الله تعالى على هذا القلب المؤمن بجماله وبهائه ليتحقق للإنسان بالعزة والسمو والتحرر من السوى والمادة واستعبادها.[٤٥]

وننطلق من محبة العبد لربه إلى محبة الحق تبارك وتعالى لعباده، فيؤكد النفري على العلاقة الحميمة الوثيقة بين العبد وربه ومحبة الله السابقة على محبة عبده له، وأن الحق تعالى هو الذي أراده قبل أن يريد هو، فيقول النفري في ذلك: "يا عبد أثنيت عليك قبل خلقك، فأثنيت عليّ حين خلقك، وأقبلتُ عليكَ قبل كونكَ، فأقبلتَ عليّ حين كونك، فكن لي لي بما كان منيّ"، فالله تعالى قد خلق الإنسان ليس ليكون في حال الحجاب، ولكن ليكون في مقام القرب والحضرة والأنس بالله تعالى.[٤٦]

كما يقول ذو النون المصري في القرب والأنس بالله تعالى في "حكمة وموعظة": "الأنس بالله هو نور ساطع والأنس بالناس غم واقع"، ويرى أن علامة الأنس بالله إذا رأيت أنه يوحشك من خلقه، فإنه يؤنسك بنفسه، وإذا رأيت أنه يؤنسك بخلقه فاعلم أنه يوحشك من نفسه، ويرى أيضاً أن من دلائل المحبة بالله تعالى أن لا يأنسوا بسوى الله تعالى لأن الله تعالى أحل في صدورهم أن يحبوه لغيره، كما يرى أنه من المحال أن يجتمع في القلب حب الدنيا وحب الله تعالى لأن من أحب الله لم ينظر إلى غيره. [٤٧]

ودليل على مناجاة وحب ووعد بصدق المحبة الذي يسكن القلب والروح نجد ذو النون يقول: "أموت وما ماتت إليك صبابتي.. ولا قضيت من صدق حبك أوطاري"، فمن ذكر الله تعالى على الحقيقة قد نسى في حبه كل شيء، ومن نسى في حبه كل شيء حفظ الله عليه كل شيء، وعوضاً في كل شيء، ومحبة الله تعالى سر لا يجوز الخوض فيه، ومن علامات المحب: أن لا يكون له حاجة إلى غير الله وترك كل ما شغله عن الله. [٤٨]

أما ابن عطاء الله السكندري فهو يقول في المحبة: "إذ المحب مستغرق في حب محبوبه وترك الإرادة معه هي عين مطلوبه، وليس يتسع وقت المحب للتدبير مع الله لأنه قد شغله عن ذلك حبه لله، ولذلك قال بعضهم: من ذاق شيئاً من خالص محبة الله، ألهاه ذلك عما سواه"[٤٩]، بذلك يجب على العبد المحب لله تعالى أن يستغرق في حبه حتى يترك لله تعالى التدبير ويبقى هو معه عما سواه.

والمحبة الإلهية عند النفري تتمثل في جمال القرب وجمال الشهود وجمال الحضرة والعظمة، وهذا المعنى قد عبر عنه النفري في المواقف والمخاطبات، فقد أثبت النفري في المواقف والمخاطبات أن رؤية الجمال الإلهي من أفضل النعم التي أنعم الله تعالى بها على أصفيائه وأحبائه من السالكين

وفى جمال الحضرة الإلهية يرى ابن عربي أن التجلي الإلهي للبشر لا يكون إلا في جلال جماله حيث يقول في الفتوحات: "ولحضرة الجلال السبعات الوجهية المحرقة، ولهذا لا يتجلى في جلال جماله لعباده، فيه يقع التجلي، فيشهدونه مظهر ما ظهر من القهر الإلهي في العالم"، كما يقول: "أن الله تعالى جميل ذو جلال فأوجدنا على هيبة وأنس، فعبر عن هاتين الصفتين باليدين".[٥٠]

كما تناول النفري في المواقف والمخاطبات صفات وجمال وجلال الله تعالي وجمال حضرته في موقف حنانه حين يقول: " وأوقفني في حنانه وقال لي: قل حتى استمع! فقلت: سبحانك بكبرياء جلالك الذي خلقت منه أحداق ملائكتك الذين هم لحضرتك، فسبحوك بجلالك وقدسوك بكبريائك وتباركت بكلمات حمدك التي هي صفتك "[٥١].

وعن جمال ووصف حضرة الله تعالي يقول النفري: " وأوقفني في حضرته التي هي أبد الآبدين وسرمد السرمدين، فرأيت الستور والستائر والحجاب والحجب، كل ذلك ممدود في وجه من يطلب منه، فلو لم يمد ذلك في وجه، ما طلب ورأيت ذلك كل مكشوفاً عن وجه من يستسلم إليه".[٥٢]

ولأن القرب من الله تعالى عند الصوفية يعتبر فضيلة لا تعادلها فضيلة، أو قيمة خلقية عالية لا تعادلها أية قيمة أو فضيلة أخرى، ماعدا شهود جمال الحضرة الإلهية، ففي جمال الحضرة نجد النفري يعبر عن جمال القرب من الله تعالي ويقول في مخاطباته: " يا عبد قل أحضرني ربي بيد يديه وأحضر كل شيء بين يدي وقال لي هو بي وأنا من ورائه وأنت بي وأنا من ورائه، ولك أظهرته كله، فيه أثبته وفيما أثبته أشهدته وفيها أشهدته عرفته أنا له خير منه له إن نسيني ذكرته كأنني أبني بذكره عزة وإن أعرض عني أقبلت عليه كأنني آنس به من وحشة"[٥٣].

كما يظهر الجمال الإلهي في الرأفة والرحمة حيث يقول النفري: " يا عبد أنا أرؤف من الرأفة وأرحم من الرحمة "[٥٤]، فالرحمة هي قيمة خلقية عليا يسميها النفري بالرحمانية وينسبها إلى الحق تبارك وتعالى بوصفه الرحمن الرحيم.

ويظهر أيضاً الجمال الإلهي من خلال الطمأنينة والمغفرة والستر والقرب والإحسان حيث يقول النفري: " يا عبد قل ربي الناظر إليّ فكيف أنظر إلى سواه، ربي رأيته فلم أره فأطمأنت به نفسي، ربي فرحت فلم أره حزنت فلم أره عبدته فلم أره، ربي حادثني بعلمه وأسفر لي عن وجهه فأين أنصرف وهو المتصرف وممن أسمع وهو على كل حديث رقيب، ربي أذنب فأراه وراء ذنبي يغفر، أحسن فأراه في احساني يتممه، ربي رأيته فما أنصفت ولا استضفت، ربي طلبته فما وجدته وطلبني فوجدته، ربي أشهدني أن لا حكم إلا له وشهد عليّ أن لا حكم إلا من أجلي، ربي أظهرني وأظهر لي قال لي أظهرت لك السترة وأظهرت لك ستراً والستر بعد وأنت من ورائه والستر قرب وأنت من ورائه، ربي أخرج قلبي من صدري وجعله على يده وقال لي عبادك أن تقرّ وقد بلوتك بالتقليب وقرارك في يدي وتقليبك في صدرك، ربي أراه فأستقيم له"[٥٥].

هوامش البحث:

[١] – محمد علي آذرشب: مقال بعنوان ‘‘الجلال والجمال في شعر ابن عربي"، مجلة التراث العربي، دمشق، عدد ٨٠، اصدار عام ٢٠٠٠.

[٢]– سورة الملك آية ٥.

[٣]– سورة الكهف آية ٧.

[٤] . سورة الحجر آية ١٦

[٥] – ابن عطاء الله السكندري: تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٥ – صـ ٢٩.

[٦]– ابن منظور: لسان العرب، ج١، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨ – صـ ٣،٥.

[٧]– سورة السجدة آية ٧.

[٨]– دراسة بوجيل عبد العزيز: القيم الجمالية عند أبوحامد الغزالي (دراسة تحليلية)، رسالة ماجستير، جمهورية الجزائر، ٢٠١٧ – صـ ١٥–١٧.

[٩]– صالح أحمد: الظاهرة الجمالية في الإسلام، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٧ م – صـ ٢٣–٢٤.

[١٠]– دراسة بوجيل عبد العزيز: القيم الجمالية عند أبو حامد الغزالي (دراسة تحليلية) – صـ ٢٠.

[١١] . راجع في ذلك دراسة مناد طالب بعنوان: التجربة الجمالية ودورها الاجتماعى عند أبى نصر الفارابى. جامعة الجزائر ٢٠١٢، وكذلك دراسة أحمد أنيس الحسون بعنوان: فلسفة الجمال عند الفارابى نشر وزارة الثقافة بسوريا ٢٠١٠، وطبعة اخرى بدار الطباعة التركية عام ٢٠١٦.

[١٢] . مناد طالب: التجربة الجمالية ودورها الاجتماعى عند أبى نصر الفارابى. كلية الفنون الجميلة قسم الفلسفة جامعة الجزائر ٢٠١٢ ص ٥٠ . ٥٩.

[١٣]– أبو حيان التوحيدي: هو على بن محمد بن العباس التوحيدي البغدادي، فيلسوف أديب وصوفي ومتكلم من أعلام القرن الرابع الهجري.

[١٤]– أبو حيان التوحيدي: الهوامل والشوامل – تحقيق أحمد أمين وأحمد صقر – القاهرة – ١٩٥١ م – صـ ١٣٧.

[١٥]– عفيف بهنسي: الفكر الجمالي عند التوحيدي – صـ ٥٠.

[١٦]– دراسة بوجيل عبد العزيز: القيم الجمالية عند أبو حامد الغزالي (دراسة تحليلية) – صـ ٢١–٢٣.

[١٧]– الغزالي: احياء علوم الدين – ج٣ – دار احياء الكتب العربية – القاهرة – صـ ٣١٦.

[١٨]– دراسة بوجيل عبد العزيز: مرجع سابق – صـ ٣٥–٣٧.

[١٩]- الغزالي: احياء علوم الدين – ج٣ – صـ ٣١٧، دراسة بوجيل عبد العزيز: القيم الجمالية عند أبو حامد الغزالي (دراسة تحليلية) – صـ ٤٣-٤٤.

[٢٠]- دراسة بوجيل عبد العزيز: القيم الجمالية عند أبو حامد الغزالي (دراسة تحليلية) – صـ ٤٨-٥٠.

[٢١]- سورة الضحى آية ١١.

[٢٢]- دراسة بوجيل عبد العزيز: مرجع سابق – صـ ٧٧.

[٢٣]- الغزالي: المنقذ من الضلال – ج٢ – صـ ٥٠، دراسة بوجيل عبد العزيز: القيم الجمالية عند أبو حامد الغزالي (دراسة تحليلية) – صـ ٨٠-٨١.

[٢٤]- دراسة بوجيل عبد العزيز: القيم الجمالية عند أبو حامد الغزالي (دراسة تحليلية) – صـ ٨٠-٨٢.

[٢٥]- رواه مسلم والإمام أحمد في مسنده.

[٢٦]- ابن عطاء الله السكندري: التنوير في اسقاط التدبير – تحقيق وتعليق: موسى محمد علي الموشي وعبدالعال أحمد عرابي – البحوث الاسلامية – القاهرة – ١٩٧١ م – صـ ٣٦.

[٢٧]- سورة المائدة آيه ١١٩.

[٢٨]- ابن عطاء الله السكندري: التنوير في اسقاط التدبير – صـ ٥٤-٥٥.

[٢٩]- ابن القيم الجوزية: الفوائد – صـ ٢٥٠، دراسة بوجيل عبد العزيز: القيم الجمالية عند أبو حامد الغزالي (دراسة تحليلية) – صـ ٢٧-٢٨.

[٣٠]- حديث صحيح رواه أبو هريرة، المصدر: صحيح الجامع، صفحة أو رقم ١٨٦٢.

[٣١]- حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه، رواه عبدالله بن مسعود، صفحة أو رقم ٩١.

[٣٢]- ابن القيم الجوزية – الفوائد – صـ ٢٣٥، دراسة بوجيل عبد العزيز: القيم الجمالية عند ابو حامد الغزالي (دراسة تحليلية) – صـ ٢٧-٣٢.

[٣٣] – سورة آل عمران آية ١٩٠.

[٣٤] – سورة يونس آية ١٠١.

[٣٥] – سورة الذاريات آية ٢١.

[٣٦] – أحمد علي زهرة: مفهوم الحب والجمال والخمر، كتاب الصوفية وسبيلها إلى الحقيقة- من ص ١٩٢ إلى ص٢٠٥

[٣٧] . عفيف الدين التلمساني: شرح مواقف النفري، تحقيق وتعليق د. جمال المرزوقى صـ ٣٧٧، وفي الأعمال الكاملة للنفرى صـ ٢٨٣.

[٣٨] . المرجع السابق، صـ ٢٨٣.

[٣٩]- التفتازاني: ابن عطاء الله السكندري وتصوفه – صـ ٨٦، نقلاً عن شرح الرندي على الحكم ج ٢

[٤٠]- توفيق الطويل: فلسفة الأخلاق صـ ١٦٧، نقلاً عن: السيد محمد منصور: أضواء على فلسفة القيم صـ ١٦٨.

[٤١]- توفيق الطويل: مرجع سابق صـ ١٦٩، نقلاً عن: السيد محمد منصور: مرجع سابق صـ ١٦٩.

[٤٢]- موسى وسام: دينامية التأويل الصوفي في كتاب شرح مواقف النفري لعفيف الدين التلمساني (فصل: المدرسة التأويلية بين الفلسفة والتصوف) – مذكرة لنيل شهادة الماجستير – الجزائر – صـ ٦٣.

[٤٣]- عبدالرحمن بدوي: شهيدة العشق الإلهي – طبعة ٤ – الكويت – ١٩٧٨ – صـ ١٠، نقلاً عن دينامية التأويل الصوفي في كتاب شرح مواقف النفري لعفيف الدين التلمساني (فصل: المدرسة التأويلية بين الفلسفة والتصوف) – مذكرة لنيل شهادة الماجستير – الجزائر – صـ ٦٤.

[٤٤]- موسى وسام: مرجع سابق – صـ ٦٥.

[٤٥] – آمال محمد عامر: بحث بعنوان: الوقفة (شهود الأحدية) لحظة النفري الصوفية – كلية الآداب جامعة مصراتة – ٢٠٢٠ – صـ ٧٢.

[٤٦]- المرجع السابق – صـ ٦٣.

[٤٧]- عبدالحليم محمود – ذو النون المصري صـ ١٥٢.

[٤٨]- المرجع السابق صـ ٦٩-٧٠.

[٤٩]- ابن عطاء الله السكندري: التنوير في اسقاط التدبير – صـ ٦٢-٦٣.

[٥٠] – ابن عربي: الفتوحات ج ٣ صـ ٥٤٣.

[٥١]- جمال المرزوقي: النصوص الكاملة للنفري – موقف حنانه – صـ ٤١١.

[٥٢]- المرجع السابق – موقف حضرته – صـ ٤١٦.

[٥٣]- جمال المرزوقي: النصوص الكاملة للنفري – مخاطبة ٤٤ – صـ ٣٧٨.

[٥٤]- المرجع السابق – مخاطبة ٢٤ – صـ ٣٦٢.

[٥٥]- المرجع السابق – مخاطبة ٣٨ – صـ ٣٧٣.

المصادر والمراجع

١. ابن القيم الجوزية – الفوائد، تحقيق محمد على قطب، دار الدعوة الإسكندرية، ١٩٩٢ .

٢. ابن عربي: الفتوحات المكية، طبعة بيروت، ج٣، ١٩٩٨ .

٣. ابن عطاء الله السكندري: التنوير في اسقاط التدبير – تحقيق وتعليق: موسى محمد علي الموشي وعبدالعال أحمد عرابي – البحوث الاسلامية – القاهرة – ١٩٧١ م

٤. ابن عطاء الله السكندري: تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٥
٥. ابن منظور: لسان العرب، ج١، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨
٦. أبو حيان التوحيدي: الهوامل والشوامل – تحقيق أحمد أمين وأحمد صقر – القاهرة – ١٩٥١ م
٧.أحمد زروق: الشيخ أبي العباس أحمد زروق الفاسى كتاب قواعد التصوف وشواهد التعرف، تحقيق عبد المجيد خيالى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥
٨. أحمد علي زهرة: مفهوم الحب والجمال والخمر، كتاب الصوفية وسبيلها إلى الحقيقة
٩. آمال محمد عامر: بحث بعنوان: الوقفة (شهود الأحدية) لحظة النفري الصوفية – كلية الآداب جامعة مصراتة ٢٠٢٠ .س
١٠. التفتازاني: ابن عطاء الله السكندري وتصوفه . مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٩
١١. التفتازاني: مقال (سيكولوجية علم النفس) مجلة علم النفس – اكتوبر ١٩٤٩
١٢. توفيق الطويل: الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها، دار النهضة العربية، ط٤، ١٩٧٩
١٣. جمال المرزوقى: النصوص الكاملة للنفرى، دار المحروسة للنشر – القاهرة – ٢٠١٩.
١٤. جمال المرزوقي: فلسفة التصوف محمد بن عبدالجبار النفري، دار التنوير – بيروت – ٢٠٠٩.
١٥. دراسة بوجيل عبد العزيز: القيم الجمالية عند ابو حامد الغزالي (دراسة تحليلية)رسالة ماجستير بكلية الاداب واللغات جامعة تلمسان الجزائر ٢٠١٧ .
١٦. السيد محمد منصور: أضواء على فلسفة القيم رؤية مستقبلية، القاهرة ٢٠١٤
١٧. صالح أحمد: الظاهرة الجمالية في الإسلام، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٧ م
١٨. عامر النجار: الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها، دار الكتب العلمية للنشر، القاهرة ٢٠١٠.
١٩. عبدالحليم محمود – ذو النون المصري، دار الشعب، القاهرة ١٩٧٣.
٢٠. عبدالرحمن بدوي: شهيدة العشق الإلهي – طبعة ٤ – الكويت – ١٩٧٨
٢١. عفيف بهنسي: الفكر الجمالي عند التوحيدي المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ١٩٩٧
٢٢. الغزالي: احياء علوم الدين – ج٣ – دار احياء الكتب العربية – القاهرة وطبعة دار الشعب القاهرة ١٩٦٩ .
٢٣. الغزالي: المنقذ من الضلال والمفصح بالأحوال تحقيق سميح دغيم دار الفكر اللبناني
٢٤. محمد علي آذرشب: مقال بعنوان "الجلال والجمال في شعر ابن عربي"، مجلة التراث العربي، دمشق، عدد ٨٠، اصدار عام ٢٠٠٠.

٢٥. مناد طالب: التجربة الجمالية ودورها الاجتماعى عند أبى نصر الفارابى، كلية الفنون الجميلة قسم الفلسفة جامعة الجزائر ٢٠١٢

٢٦. موسى وسام: دينامية التأويل الصوفي في كتاب شرح مواقف النفري لعفيف الدين التلمساني (فصل: المدرسة التأويلية بين الفلسفة والتصوف) – مذكرة لنيل شهادة الماجستير – الجزائر